



إيبارشية جنوبي الولايات المتحدة الأمريكية
الرسالة الشهرية للرهبان والراهبات والمكرسين والمكرسات
سبتمبر ٢٠١٤

أحبائي،

سلام ونعمة،

قبل أن نستكمل رحلتنا في الآداب الرهبانية، أود أن نتأمل في كلمات ربنا على فم أرميا النبي:

"أَنَا الرَّبُّ فَاحْصُ الْقُلُوبِ مُخْتَبِرُ الْكُلَى لِأَعْطِيَ كُلَّ وَاحِدٍ حَسَبَ طَرَفِهِ، حَسَبَ ثَمَرِ أَعْمَالِهِ" (أر ١٧: ١٠)

فلنتذكر هذه الآية الآن لكيما تكون في أذهاننا طوال الوقت خلال قراءة هذه الرسالة حقيقة هامة وهي أن الله لا يحكم بالمظهر الخارجي – كما نفعل نحن في الكثير من الأحيان – وأيضاً لكيما نقبل موضوع هذه الرسالة بروح الإيمان والفهم وبإخلاص، وليس كمجموعة من القواعد أو القوانين السطحية المبنية على الكبرياء بدلاً من المحبة.

في رسالة هذا الشهر سوف نتحدث بتفصيل في بعض الموضوعات التي وردت في الرسالة الماضية، وأيضاً سوف نناقش الآداب الواجبة في عبادتنا وصلواتنا.

الاحترام والخافة

"مَخَافَةُ الرَّبِّ رَأْسُ الْمَعْرِفَةِ، أَمَّا الْجَاهِلُونَ فَيَحْتَقِرُونَ الْحِكْمَةَ وَالْأَدَبَ" (أم ١: ٧)

أتذكر أن قال لي أحدهم عما رآه وأختبره في أحد الأديرة في اليونان، وكيف أن كل راهب كان يحمل في نفسه مخافة الله، وعندما سألته ما الذي يعنيه بهذا؟ بدأ في وصف أسلوب الرهبان في السير بهدوء، الصلاة بمهابة، السجود ببطء كما لو أمام ملك وليس على سبيل العادة أو الواجب، قلة الحديث للغاية، وعندما يفعلون فيلطف وجدية، ويؤدون أعمالهم بدقة متناهية لأهم لا يعملون هذا لأنفسهم ولكن للذي يخدمون في بيته. كانت مخافة الله الداخلية في أنفسهم تظهر خارجياً في مظهرهم، وهذا ما رآه هذا الشخص واختبره.

قال الأنبا آمون أنه رأى شاب يضحك فقال له: "لا تضحك يا أخي، لأنك إن فعلت، تطرد من قلبك خوف الله." [إيستان الرهبان]. الضحك ليس خطأ في حد ذاته، ولكن فكّر كيف كنت سوف تسلك أو تتصرف إذا دُعيت لزيارة ملك إحدى البلدان؟ من المؤكد أنه سوف يكون قائمة بنظام المراسم التي يجب عليك اتباعها، وأتصور إنك سوف تسلك برصانة ووقار، وتكون مُدرك تماماً لأي سلوك غير ملائم. إذا كنت سوف لا تقف أمام ملك أرضي بسهولة وأنت تضحك، إذن لماذا نسمح لأنفسنا بفعل ذلك أمام ملكنا السماوي؟!

فلنتذكر على الدوام يا أحبائي أننا في حضرة ملكنا المتعالي، ولنحفظ دوماً مخافة الله في قلوبنا لكيما لا نخرق قواعد الحياة الرهبانية بمثل هذا التراخي من دون حتى أن ندرك ذلك.

الاتضاع والمخافة

"تَوَابُ التَّوَضُّعِ وَمَخَافَةِ الرَّبِّ هُوَ غِيٌّ وَكَرَامَةٌ وَحَيَاةٌ" (أم ٢٢: ٤)

يتكلم القديس يوحنا كاسيان في كتابه "المؤتمرات" عن مخافة الله، فيقول إنها تقودنا إلى الفضيلة العظيمة التي هي الاتضاع، وأود هنا أن أطرح عليكم النقاط العشرة التي عرضها، والتي تشهد على أفعال أو آداب الراهب المتضع:

- ١ - يميمت شهواته.
 - ٢ - لا يخفي أي فعل أو فكر عن مُدبره.
 - ٣ - لا يثق برأيه، ولكن في حكم مُدبره، ويحرص على الإصغاء عن طيب خاطر إلى توجيهاته.
 - ٤ - يلتزم في كل شيء بالطاعة واللطف وطول الأناة المطرد.
 - ٥ - ليس فقط لا يجرح مشاعر الآخرين، ولكنه لا يتضايق أو يتكدر عندما يخطئ إليه الآخرين.
 - ٦ - لا يُقدم على فعل شيء ما إلا إذا كان من الأمور الواجبة أو اقتداءً بالسيوخ.
 - ٧ - يقنع بأدنى منزلة، ويعتبر نفسه عبد بطل وغير مستحق حتى للأشياء المفروضة عليه.
 - ٨ - ليس فقط يصرح بشفتيه أنه أدنى من الجميع، بل يصدق هذا بالحقيقة في أعمق أفكار قلبه.
 - ٩ - يحفظ لسانه، وهو غير ثرثار.
 - ١٠ - لا ينفعل بسرعة وغير مُسرع إلى الضحك.
- يقول كاسيان: "مخافة الله هي صليبنا والذي يكون مسمراً على الصليب يخلو عقله من كل الاهتمامات الأرضية، فبينما يلفظ أنفاسه الأخيرة يركز فكره على الحياة الأبدية الآتية وحدها." [المؤتمرات- القديس يوحنا كاسيان]

وفي ذلك يكمن السرلذا أكرر مرة أخرى، يا أحبائي، التركيز بلا انقطاع على الوجود في حضرة الذي كرسنا له حياتنا بأكملها، لأنه إن وضعنا هذا الهدف نصب أعيننا، بنعمة الله، سوف يترتب على ذلك أن تسير كل الأمور حسب خطة الله الصالحة لحياتنا.

السلوك في الكنيسة

"طُوبَى لِكُلِّ مَنْ يَتَّقِي الرَّبَّ، وَيَسْلُكُ فِي طَرْقِهِ" (مز ١٢٨: ١)

في الأجيال الماضية كان للصمت والخشوع أهمية قصوى في الكنيسة، لم يكن هناك مكان للحديث أو الضحك، بل كان الجميع يدخلون بيت الله في خشية ورهبة. "يقف الجميع في صمت تام حتى أنك بالرغم من أن عدد الأخوة المجتمعون معاً كان كبيراً جداً، إلا أنك تظن أنه لا يوجد أحداً سوى الشخص الذي يقف لترتيل المزمور، ويكون الحال هكذا بالأخص عند رفع الصلوات، فلا يكون هناك بصق، أو تننح، أو تتأؤب بصوت مسموع، أو ضوضاء ناتجة من السعال، أو أفواه فاغرة، أو تأوهات أو تهديدات مسموعة، أو أي أصوات أو حركات من المتوقع أن تصرف انتباه الذين يقفون بالقرب من الشخص، لم يكن يُسمع سوى صوت الكاهن في أثناء الصلوات." [المؤتمرات- القديس يوحنا كاسيان]

أهمية التزام الصمت داخل الكنيسة هو بنفس درجة أهمية التزام الصمت بعد إنتهاء الصلوات. كما أنه لا يُعقل أن ترى أسرة ما في حالة حداد وحزن أثناء مراسم تأبين ودفن المتوفي، ثم بعد ذلك يخرجون خارجاً ويتحدثون بأصوات عالية ويضحكون، لذا يكون أيضاً من الغرابة أن نقف باحترام ووقار خارجي فقط أثناء تواجدها في الكنيسة دون المحافظة على روح الصلاة في داخلنا.

ولعلنا نتذكر جيداً قول الأتبا مكاربوس للأخوة عند انتهاء الخدمة بالكنيسة: "فروا يا أخوة فروا"، وعندما سأله أحد الشيوخ قائلاً: "يا أبا إلى أين نفر أكثر من وجودنا هنا في الصحراء"، وضع القديس مكاربوس يده على فمه قائلاً: "من هذا فروا" ثم ذهب على الفور إلى قلايته وأغلق الباب. (بستان الرهبان)

وبالمثل، قال كاسيان عن الرهبان الشيوخ القدامى: "وكما ذكرنا قبلاً، عند نهاية المزامير في صلوات المجمع، ينصرف الجميع ولا يجرؤ أحداً منهم أن يتباطأ قليلاً ليتحدث أحاديث فارغة مع آخر." [المؤتمرات- القديس يوحنا كاسيان]

لو أننا جعلنا تلاوة صلاة يسوع باستمرار على شفاهنا، أو اعتدنا ترديد تسبحة الثلاثة تقديسات، أو تسبحة الملائكة، أو المزامير، فلن يكون هناك وقتاً للأحاديث الفارغة والعديمة الفائدة أو الإهمال.

أحبائي،

أرى نعمة الله تعمل في كل منكم، وأثق في نموكم المتواصل وأنا واثق أنكم تحرزون نجاحاً حياًل كل الأمور السابق ذكرها، ولكنني أستحثكم أن تفحصوا أذهانكم وقلوبكم وتذكروا قول القديس مكسيموس المعترف: "ينظر الله في كل ما نعمل إلى النية، ما إذا كان ما نفعله من أجل مجد اسمه، أم من أجل قصد آخر" [كتاب "مكسيموس المعترف: كتابات مختارة"]

أدام الله منحكم المعونة وليبارك كل مساعبيكم في الاقتراب إليه.

ليكن سلام ومحبة ربنا يسوع المسيح مع جميعكم.

المجد لإلهنا إلى الأبد. آمين.